حديث (واو الحال)
في
دلائل الإعجاز

الدكتور
أبو المجد علي حسن عمارة
أستاذ اللغويات
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات بالمنصورة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على خير المرسلين

وبعد :

فالقصد فى هذا البحث إلى كتاب " دلائل الإعجاز " للشيخ أبى بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى النحوى واضع أسس البلاغة ، والمشيد لأركانها ، وفاتح مغلق أبوابها ، وإلى بحث نحوى مما ضمه هذا الكتاب ، وهو متعلق بدخول واو الحال فى جملة الحال ، ولا بدع فى أن يتحدث عبد القاهر فى (*الدلائل*) عن النحو فهو صاحب (*المقتصد*) فى شرح إيضاح أبى على الفارسىّ ، وصاحب (العوامل المائة) فى النحو ، وغيرهما .

وكان القصد إلى كتاب عبد القاهر لما فيه من مزايا ليست فى غيره سوف تراها فى أثناء حديثنا ، لم يسبق إليها نحوى غيره ، ولم يقترب من حماها سواه .

فالنحاة يسمون هذه الواو : واو الابتداء ، ويعللون هذه التسمية بما يشاءون .

قال أبو على : (ولهذا قال سيبويه : (واو الابتداء) يعنى هذه الواو ؛ إذ كان ما بعدها سبيله أن يكون جملة من مبتدأ وخبر) [1] .

وعبد القاهر يسمى الواو الرابطة فى جملة الحال واو الاستئناف ؛ لأن الحال بها قد استؤنف إثباته لصاحبه بعد أن ثبت له الحكم.

١- سر الصناعة ٦٤٥/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذه التسمية أول فهم واضح لتسمية سيبويه لها(واو الابتداء) ، فمعنى الابتداء عند سيبويه يراد به الاستئناف المعنوى ، وإن كان اللفظ على غير الاستئناف ؛ لأن الحال - مطلقاً - قيد فى عاملها .

وفى كتب النحو فهم آخر غير جيد لعبارة سيبويه ، يقول الصبان : " قوله " واو الابتداء " لأنها تدخل كثيراً على المبتدإ وإن لم تلزمه ، أو لوقوعها فى ابتداء الحال [١] فانظر كيف أوقعه خطؤه فى فهم عبارة سيبويه فى هذا الترديد .

هذا ، وقد حصر عبد القاهر فى دقة تامة ووضوح رائع علة دخول الواو فى جملة الحال مشيراً إلى موطنها اللائق بها فى لغتنا العربية ، فهى عنده لاستئناف الحكم ، وعدم وصل المعنى الثانى بالمعنى الأول فى إثبات واحد ، وعدم تنزل الجملة منزلة المفرد [٢] .

فكل جملة وقعت حالاً ، ثم اقتضت الواو فذاك لأنهم استأنفوا بها خبراً ، ولم يقصدوا إلى ضمها إلى الفعل الأول (العامل) فى إثبات واحد .

وإن كان لابد لجملة الحال من ربط ، كما أنه لابد فى جملة الخبر ، والصفة من ضمير يعود إلى المخبر عنه ، أو الموصوف فذلك أن الحال صفة ذى الحال ، وأنها زيادة فى الخبر .

١- الصبان ١٨٩/٢ .
٢- الدلائل ١٤٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإنما يربط جملة الحال بصاحبها الضمير ، أو الواو ، أو هما معاً ، ولا يرتبط الخبر والصفة والصلة إلا بالضمير وحده .

وقد عللوا هذا بأن الحال يجيء فضله بعد تمام الكلام ، فاحتاج فى الأكثر إلى فضل ربط ، فصدرت الجملة التى أصلها الاستقلال بما هو موضوع للربط ، أعنى الواو التى أصلها الجمع ؛ لتؤذن من أول الأمر أن الجملة لم تبق على استقلالها .

وأما الخبر والصفة والصلة فإنها لا تجيء بالواو ؛ لأن الخبر يتم الكلام ، وبالصلة يتم جزء الكلام ، والصفة بتبعيتها للموصوف لفظاً ، وكونها لمعنى فيه كأنها من تمامه ، فاكتفى فى ثلاثتها بالضمير (١) .

وعن هذه الواو يقول سيبويه : " وأما قوله تعالى :﴿ يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ .... ﴾ (٢) فإنما وجهوه على أنه يغشى طائفة منكم .

وطائفة فى هذه الحال ، فإنما جعله وقتاً ، ولم يرد أن يجعلها واو عطف ، وإنما هى واو الابتداء " (٣) .

وقوله : " فإنما جعله وقتاً " يعنى : أنها كالظرف فى تعلقها بما قبلها ، لا يقصد كونها ظرفاً .

١- شرح الكافية للرضى ٢١١/١ .
٢- آل عمران آية ١٥٤ .
٣- الكتاب ٩٠/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول ابن الشجرى : " وليست الواو العاطفة ، ولكنها التى شبهها سيبويه بإذ ، وإنما شبهها بإذ لأنها تتعلق بما قبلها من الكلام ، كما تتعلق " إذ " (١) .

يذكر عبد القاهر هنا أن كل جملة وقعت حالاً ، ثم امتنعت من الواو ، فذاك لأجل أننا عمدنا إلى الفعل الواقع فى صدرها ، فضممناه إلى الأول فى إثبات واحد ، والمعنى أن جملة الحال المجردة من الواو يكون فعلها ضميمة وقيداً فى العامل الذى هو الجزء الأول ، وتصل الحال بالعامل ، ففى قولنا :

(**أتى زيد يسعى**) يكون المعنى إثبات مجىء فيه سعى لزيد ، كأننا قلنا : أتى زيد كذلك ، أو أتى زيد بهذه الهيئة .

تفسير ذلك أنا إذا قلنا : (**أقبل زيد يسرع**) كان بمنزلة (**جاء زيد مسرعاً**) فى أننا نثبت إقبالاً فيه إسراع ، فنصل أحد المعنيين بالآخر ، ونجعل الكلام كله خبراً واحداً ، كأننا قلنا : (**جاءنى كذلك**) أو (أقبل وهو بهذه الهيئة) .

وإذا قلنا : (**جاءنى سعيد وغلامه يسعى بين يديه**) أو (**رأيت خالداً وسيفه على كتفه**) فإن المعنى أنا بدأنا فأثبتنا لسعيد المجىء ، ولخالد الرؤية ، ثم استأنفنا خبراً هو الحال ، وابتدأنا إثباتاً ثانياً لسعى الغلام بين يَدَىْ سعيد ، ولكون السيف على كتف خالد .

وهكذا يعطى الواو فى صدر جملة الحال ، فتفيد أن الحال هو الخبر الثانى الذى استؤنف إثباته ، وأنه ليس مقصوداً ضمه إلى الخبر الأول (العامل) فى إثبات واحد ، فنحن أثبتنا الخبر الأول

١- الأمالى ١١٤٧ . وانظر فى شرح عبارة سيبويه الأشمونى ١٨٩/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم استأنفنا إثبات الخبر الثانى ، فهو إثبات بعد إثبات ، لا خبران فى إثبات واحد .

وبعد هذا يقسّم الحال الذى هو جملة إلى ما هو فى منزلة المفرد فلا تدخله الواو ، والذى لم يخرج عن كونه جملة فيقترن بالواو ، وإلى ما كان فى المعنى مفرداً فيسوغ دخول الواو فيه ذاكر قدراً من مسوغات كل ذلك ، معترفاً بغموض الموقف وصعوبته ، حيث يقول : (وإذ قد رأيت الجمل الواقعة حالاً قد اختلف بها الحال هذا الاختلاف الظاهر فلابد من أن يكون ذلك إنما كان من أجل علل توجبه ، وأسباب تقتضيه فمحال أن يكون ههنا جملة لا تصلح إلا مع الواو ، وأخرى لا تصلح فيها الواو ، وثالثة تصلح أن تجىء فيها الواو وأن تدعها ، فلا تجىء بها ، ثم لا يكون لذلك سبب وعلة ، وفى الوقوف على العلة فى ذلك إشكال وغموض) [1] .

ومع هذا الاعتراف بالغموض والإشكال رسم القاعدة لدخول الواو وعدم دخولها ، ثم راح يتتبع نماذج لها معللاً فى أكثر المواقف ، وتاركاً التعليل فى بعض منها .

ونحن هنا نذكر صوراً للزوم الواو ، ثم نتبعها صوراً تمتنع فيها الواو .

المبحث الأول :

١- إذا كانت جملة الحال اسمية ، المبتدأ فيها ضمير صاحب الحال فى نحو (**جاء علىّ وهو مسرع**) و (**دخلت عليه وهو يملى الحديث**) و (**انتهيت إلى الأمير وهو يعبىء جيشه**) .

١- الدلائل (١٤٠) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهذا اللون من الجمل الحالية لا يصلح بدون الواو ، فليس بكلام أن يقال : (جاء على هو مسرع) ، أو (دخلت عليه هو يملى الحديث) .

وتعليل عبد القاهر هنا أن المعنى على الاستئناف لإثبات الخبر الثانى وهو الحال ، فإذا أعدنا ذكر صاحب الحال ، بالإتيان بضميره المنفصل المرفوع كان بمنزل إعادة اسمه صريحاً ، فقولنا (**أقبل محمد وهو يسعى**) بمنزلة (**أقبل محمد ومحمد يسعى**) فى أننا لا نجد سبيلاً إلى إدخال (يسعى) فى علاقة مع (أقبل) وضمه إليه فى إثبات واحد ؛ لأن إعادة ذكره - ضميره - لا يكون حتى نقصد استئناف الخبر عنه بأنه يسعى ، لأن إعادة ضميره تمنع .. جعله قيداً للفعل (أقبل) ، وتمنع ضمهما معاً فى إثبات واحد ، وإلا كان إعادة ذكره ضائعة .

فيكون ترك الواو كأنا قلنا - فى (جاء زيد وعمرو يسرع أمامه) فى أنا لم نستأنف كلاماً ، ولم نبتدىء للسرعة إثباتاً ، وحال (يسرع) هنا كحاله فى قولنا : (جاء زيد يسرع) فجعلنا السرعة لزيد ، ولم نذكر عمراً ، وذلك محال .

ويبدو قوة تعليل عبد القاهر من وهن تعليل غيره ، جاء فى شرح الكافية :

" قال الأندلسى إن كان المبتدأ - يعنى فى جملة الحال الاسمية - ضمير صاحب الحال وجب الواو أيضاً ، نحو (جاءنى زيد وهو راكب) ولعل ذلك لكون مثل هذه الجملة فى معنى المفرد سواء " (١) .

١- شرح الكافية للرضى ٢١١/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهذا التعليل ضد تعليل عبد القاهر ، ومعارض لتسمية هذه الواو واو الحال ، وليس بالحق ، بل إنه تعليل لكون الجملة مجردة من الواو لتنزلها منزلة المفرد .

ويستمر عبد القاهر ببحث عن المواطن التى يسوغ دخول الواو فيها ، فيذكر المضارع المنفى " بما " ، المنفى " بلا " كقولهم :

(**كنت ولا أخشَّى بالذئب**) وقول مسكين الدارمى :

أكسبته الورق البيض أبا ولقد كان ولا يدعى لأب

وقول مالك بن رفيع :

أقادوا من دمى وتوعدونى وكنت وما ينهنهنى الوعيد

وقول أبى الأسود :

يصيب وما يدرى ، ويخطىء وما درى

وكيف يكون النوك إلا كذلك

جاء هكذا بالواو ، كما جاء بغير الواو ، كقول أعشى همدان :

وكان سفاهة منى وجهلاً مسيرى لا أسير إلى حميم

وقول خالد بن يزيد بن معاوية :

لو أن قوماً لارتفاع قيلة دخلوا السماء دخلتها لا أحجب

فمن نظر إلى حرف النفى وتأثيره فيما بعده كان أمام جملة حسنة الاستئناف ، فأدخل الواو ، ومن نظر إلى أن معنى هذا المضارع هو معنى اسم الفاعل المنفى بـ " غير " جعلها كالمفرد فترك الواو ، وهو الراجح هنا .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ثم ذكر الجملة الاسمية المنفية بـ " ليس " تجيء بالواو في الأكثر ، وبدونه قليلاً ، الذى بدون الواو كقول الأعرابى :

إذا جرى فى كفه الرشاء خلى القليب ليس فيها ماء

والذى بالواو قولنا : (أتانى وليس عليه دين لى) و (رأيته وليس معه غيره) ، ووجه ذلك أن الجملة المصدرة بـ " ليس " - وإن كانت فعلية - حكمها حكم الجملة الاسمية " و " ليس " لمجرد النفى ، ولا تدل على الزمان على الأصح ، فينظر ههنا إلى جملة الحال النظر إلى المضارع المنفى بـ " ما " أو " لا " فتخلو من الواو أو تقرن بها .

- ثم ذكر الماضى المثبت الذى لا يقع حالاً - عند البصريين - إلا مع " قد " ظاهرة أو مقدرة ، فهذا الماضى يجيء بالواو وغيرها ، والكثير الأول ، قال تعالى :

﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾ (١) .

وقال جندح بن جندح المرى :

متى أرى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزقت عنه السرابيل

فمجيء الواو لمعنى الاستئناف المفهوم من " قد " المؤثرة فى الجملة بعدها تحقيقاً ، وتركها لما أن هذا الماضى فى معنى المفرد ، ومنزلة منزلته ، وقد تقرب الماضى من الجملة الاسمية بوقوعها خبراً ، وصفة ، وصلة .

١- آل عمران آية ٤٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثانى :

وجاء عبد القاهر إلى الجانب الآخر من جمل الحال التى تجرد من الواو وجوباً ، أو جوازاً ، فأورد [١] الجملة الاسمية التى خبرها ظرف ، أو مجرور مقدم على المبتدأ ، كقولنا " (**أتى خالد وفى يده كتاب**) ، وقول بشار بن برد :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقا

فى رأس غمدان داراً منك محلالا

فكل هذا حال يترك من الواو كثيراً ، ويقترن بها قليلاً ، كما رأيت وسره أن سلامة الجملة من التكلف ترجح جعل شبه الجملة حالاً مفردة والمرفوع بعدها فاعل بها ، وبقاؤها على ظاهرها جائز ، وتكون الجملة كلها حالاً .

* ثم أتى بالجملة الاسمية [٢] فيها رابط فى صدرها سواء كان فى المبتدإ نحو (**كلمته فوه إلى فىّ**) و (**رجع عوده على بدئه**) وقول الأعشى فى الثانى :

وإن امرءاً أسرى إليك ودونه من الأرض موماة وبيداء سملق

فالتجرد من الواو هو الكثير ؛ لأن وجود الرابط أضعف أمر الاستئناف ، والاقتران بها قليل بالنظر لكون الحال جملة ، فهى - بحسب الأصل - يصح الاستئناف فيها ، بغض النظر عن طروّ

١- الدلائل ١٣٤ ، وعبد القاهر يأخذ برأى الأخفش فى مرفوع شبه الجملة .
٢- الدلائل ١٣٤ ، ١٣٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الربط فيها [١] وأيضاً هى بتأويل المفرد ، فكلمته ***فموه إلى فمى*** بتأويل : مشافها ، وقوله (***عوده على بدئه***) بتأويل : رجع ذاهبا من الطريق الذى سلكه آنيا .

- ***ثم أورد قول الأخطل*** :

إذا أتيت أبا مروان تسأله وجدته حاضراه الجود والكرم

فجملة (حاضراه الجود والكرم) حال ، جاء مجرداً من الواو لما أفاد تقديم (حاضراه) الخبر ، فهذا التقدم أغنى عن الواو ، وذلك لصحة جعل " حاضراه " فى المعنى حالاً مفرد ؛ إذ هى بتقدير : حاضراه الجود والكرم ، أو حاضرا عنده الجود والكرم .

ولو قدم المبتدأ ، فقيل : " لوجدته الجود والكرم حاضراه " لم يحسن بدون الواو حسنه فى البيت ، لانتفاء تقدير المفرد من الجملة حينئذ .

* ثم أورد الجملة الفعلية التى فعلها مضارع مثبت لا تقرن بالواو أبداً وعبارته :" وإن كانت الجملة من فعل وفاعل ، والفعل مضارع مثبت غير منفى ، لم يكد يجىء بالواو ، بل ترى الكلام على مجيئها عارية عن الواو [٢] .

١- شرح الكافية للرضى جـ١ /٢١٢ ويرى ابن الشجرى أن الضمير وإن كان فى آخر الجملة يقوم مقام الواو ، وإن كان ابن هشام غير ذلك ، فالرابط عنده الواو المحذوفة ، ولا يكتفى بالضمير ، فابن الشجرى على ما قال عبد القاهر ، وابن هشام على لزوم الواو للجملة الاسمية ، وهو أيضا يؤكد كلام عبد القاهر .

٢- الدلائل ١٣٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

* ثم ذكر أمثلته كقول *علقمة بن عبدة* :

وقد علوت فتسود الرجل يسفعني يوم قد يديمة الجوزاء مسموم

وقول *أبى داود الإيادى* :

وقد أغتدى يدافع ركنى أحوذى ذو ميعة إضريح

وقول الحق تعالى : ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ (١) ، وقوله جل وعلا ﴿ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (٢) .

وعله ذلك أن المضارع هذا مشبه لاسم الفاعل لفظاً ، وبتقديره معنى ، فلتنزله منزلة المفرد امتنع فيه دخول الواو الدالة على الابتداء والاستئناف (٣) .

* ثم ذكر الجملة الاسمية تقترن بـ (كأنما) فيحسن فيها أن تجرد من الواو ومثاله قول الفرزدق :

فقلت عسى أن تبصرني كأنما بنى حوالىّ الأسود الحوارد

فجملة (كأنما بنى ... الأسود) فى موضع الحال ، ولو تركت منها (كأنّ) لم يحسن الكلام إلا مقترناً بالواو (٤) .

ولعل ذلك لقوة ارتباط جملة (كأنما) بصاحب الحال وهو المفعول فى (تبصرينى) من تشبيه حاله إذا أبصرته بحاله مع أولاده الذين كالأسود ، وأيضاً الرابط المكرر ، وهو الضمير فى (بنىّ) و (حوالىّ) .

١- المدثر ٦ .
٢- الأعراف ١٨٦ .
٣- شرح الكافية للرضى ٢١٢/١ .
٤- الدلائل ١٤٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

* ثم أورد الجملة التى تعقب حالاً مفردة ، فيحسن فيها أن تخلو من الواو كقول *ابن الرومى* :

والله يبقيك لنا سالماً برداك تبجيل وتعظيم

فجملة (برداك تبجيل وتعظيم) حال من مفعول (يبقيك) إثر الحال الأولى (سالماً) ، جاءت الجملة مجردة من الواو مماثلة للحال المفردة قبلها ، ولو أسقطت الحال الأولى ، فقلت : (والله يبقيك لنا برداك تبجيل وتعظيم) جاءت الواو الرابطة ، بل إنه بدون الحال الأولى وبدون الواو لا يكون شيئاً جيداً من الكلام .

* ثم ألخ فى آخر حديثه عن هذه الحال على الجملة الاسمية ، فذكر أن الأصل والقياس فى الجملة الاسمية ألا تكون حالاً إلا مع الواو ، وأن الذى جاء من ذلك بدون الواو فسبيله سبيل الشىء يخرج عن أصله وقياسه والظاهر فيه بضرب من التأويل (١) فأنت ترى أن الجمل الاسمية حقها الاستئناف عند عبد القاهر ، والاقتران بالواو ، وما جاء على غير ذلك خارج عن هذا الأصل ، وقولنا : (**خرجت مع البازى علىَّ سواد**) جملة (على سواد) حال تجردت من الواو ؛ لأن الظرف والمجرور يتعلقان باستقر أو مستقر (٢) ، فهو فى تأويل المفرد ، أو الفعل فيصح فيه أن يقال :

إنه منزل منزلة المفرد لنيابته عن المتعلق المفرد (مستقر) ، وما بعد الظرف (سواد) فاعل بالظرف لصحة تقديره باسم الفاعل ، ودليل ذلك أنه يحسن الواو إذا أخر الظرف فقلنا :

١- الدلائل ١٤٤ .

٢- أسند عبد القاهر صحة التقديرين إلى ابن السراج .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(جاء زيد والكتاب معه) و (خرج والتاج عليه) لفوات صحة التقدير بالمفرد .

والجمل الفعلية سبيلها التجرد من الواو ، وما جاء منها بالواو يلتمس له تأويل الخروج على الأصل ، فهذا يعطى فى الدراسات النحوية قوة الوصف بالجمل الفعلية دون الجمل الاسمية ، وأنها الأصل فى الوصف ، وقد حملت عليها الجمل الاسمية .

هذا حديث الواو فى (دلائل الإعجاز) الذى تحدث فيه كثيراً عن مسائل نحوية ذات أثر بلاغى ، وذلك لأن مزية النظم - عنده - تكون بمراعاة قواعد النحو .

وله فى (الدلائل) كثير من هذه البحوث مثل (حذف المبتدأ) و (حذف المفعول به) و (فروق فى الخبر) و (حكم " كاد " حكم سائر الأفعال نفياً وإثباتاً) .

صلة حديث الدلائل بغيره من كتب النحو :

- فى الجملة الاسمية المصدرة بضمير ذى الحال أوجب عبد القاهر واو الحال لمعنى الاستئناف الظاهر من الجملة ، ونسب الرضى هذا الرأى عينه إلى الأندلسى ، وخالف فى تعليله كما أسلفنا [1] .

* وفى حديثه عن الجملة المصدرة بـ " ليس " أجاز دخول الواو وتركها من جملة الحال ، وهكذا تحدث الرضى عن هذه الجملة ، قال : " وحكم الجملة المصدرة بـ " ليس " - وإن كانت

١- شرح الكافية ٢١١/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فعلية - حكم الاسمية فى أن اجتماع الواو والضمير ، وانفراد الواو أكثر من انفراد الضمير [١] .

- وعند عبد القاهر حكم جملة الحال الفعلية التى فعلها مضارع منفى بما أو " لا " جواز الأمرين .

وفى شرح الكافية أن المضارع المنفى " بما " ، أو " لا " لا تدخله الواو ، بل يلزمه الربط بالضمير وحده .

الثانى : لوقوعه موقع المفرد فمعنى(**جاءنى زيد لا يركب**) جاءنى غير راكب ، ودخول " لا " لا يغير الكلام عن ما كان عليه قبلها ، هذا كلام النحاة ، ولكن الرضى مع هذا يرى الاقتران بالواو هنا أكثر من التجرد منها ، فرأى النحاة خلاف رأى عبد القاهر - هنا - على حين يوافق الرضى ما قال عبد القاهر .

والأول وهو المقترن " بما " لأن المضارع المجرد منها يصلح للحال ، فكيف لا إذا انضم إليه ما يدل بظاهره على الحال وهو " ما " فيتبعنى أن يلزمه الواو [٢] .

وعند الشيخ الأشمونى أن المضارع المنفى " بما " أو " لا " يمتنع من الواو واستشهد بآيات الذكر الحكيم :

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [٣] ، ﴿ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ [٤] .

١- شرح الكافية ٢١٢/١ .
٢- السابق ٢١٣/١ .
٣- المائدة ٨٤ .
٤- النمل ٢٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقول الشاعر :

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبة فما لك بعد الشيب صبا متيما

وما استشهد به عبد القاهر على دخول الواو هنا مؤول على إضمار مبتدأ قبل المضارع المنفى " بما " أو " لا " نحو :

" **وقد كان ولا يدعى لأب** "*بتأويل* : وهو لا يدعى .

ونحو " يصيب وما يدرى "*بتأويل* : وهو ما يدرى ، فدخول الواو هنا واجب عند عبد القاهر لمكان الاستئناف بتأويل الأشمونى.

ودخول الواو فى الجملة الاسمية عند عبد القاهر فى نحو " كلمته **فوه إلى فىّ** هو الكثير ، والتجرد قليل ، فتربط بالضمير وحده .

وهذا عند الأشمونى كما ذكر عبد القاهر ، والصورتان موجودتان فى الذكر الحكيم :

﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ (١) .

﴿ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ (٢) .

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣) .

ويمكن على هذا عند الأشمونى تخريج البيت : " نصف النهار الماء غامره " ولا حاجة لقول الأشمونى :" قد يحذف الرابط لفظاً

١- البقرة ٣٦ .
٢- يوسف ١٤ .
٣- البقرة ٢٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فينوى " [١] ولا يكون نادراً كما يرى الفراء والزمخشرى ، وكيف يكون نادراً وهو فى الذكر الحكيم ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ ﴾ .

وفى هذا الموطن للأندلسى كلام ذكره الرضى فقال :" واما انفراد الضمير فقال الأندلسى إن كان المبتدأ ضمير صاحب الحال وجب الواو أيضاً ، نحو **" جاء زيد وهو راكب "** .

وإن لم يكن المبتدأ ضمير ذى الحال نظرنا فإن كان الضمير فيما صدر به الجملة سواء كان مبتدأ نحو (**جاء زيد يده على رأسه**) و (**كلمته فوه إلى فىّ**) ، أو خبراً نحو قوله : (**خرجت مع البازى على سواد**) فلا يحكم بضعفه مجرداً عن الواو وان كان الضمير فى آخر الجملة كقوله:" **نصف النهار غامره** " فلاشك فى ضعفه " [٢] .

ويرى الزمخشرى أن انفراد الضمير فى الجملة الاسمية ضعيف مطلقاً ، فنحو " **أتى محمد معه كتاب** " فى تأويل المفرد مستقر (معه كتاب) فلذا لم تدخلها الواو .

وهو بهذا مع عبد القاهر فى الأصل الذى ذكره من أن الأصل فى الجمل الاسمية أن تقرن بواو الحال ، وأن ما جاء منها بدون الواو يلتمس له تأويل ، فهذا والله أعلم لما أن الجملة الاسمية بدلالتها على الاستمرار يناسبها الاستئناف أبداً .

١- الأشمونى ٢/١٩٠ .
٢- شرح الكافية ١/٢١١ ، ٢١٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يبقى لعبد القاهر الفهم الواضح لتعبير سيبويه ، فهو قد فهم قول سيبويه " وإنما هى واو الابتداء " على وجهها الحق ، وأن المعنى بالابتداء استئناف إثبات الجملة الحالية ، بعد إثبات الخبر الأول وهو الحكم ، فأغنى عن مشكلات أن يقال : معنى واو الابتداء : لأنها تدخل على المبتدأ ، ولهذا رأينا النحاة الذى فسروا بهذا المعنى احترزوا فى كلامهم ، فابن جنى فى سر الصناعة يقول ناقلاً عن الفارسى : ولهذا قال سيبويه : " واو الابتداء " يعنى هذه الواو ؛ إذ كان ما بعدها سبيله أن يكون جملة من مبتدأ وخبر " (١)

- ويبقى له أيضاً إيضاحه أن الأصل فى الواو أن تكون للجملة الاسمية ، فتلزمها ، وما جاء بدون الواو يلتمس له وجه مخالفته للقياس .

- فنحن نرى النحاة يشبهون الأفعال التى تقرن بالواو بالأسماء ، اسمع إلى ابن الحاجب يقول : " وأما الماضى إن كان مثبتاً فهو كالمضارع المنفى فى جواز الأمرين - يعنى الاقتران بالواو وتركها - لقربه من اسم الفاعل من وجه ، وبعده من وجه ، أما قربه فلأنه مثله فى المعنى ، وأما بعده فلأنه ليس على وزن اسم الفاعل (٢) .

هذا والله أعلم ، وصلى الله على نبيه المصطفى وآله وصحبه الشرفاء.

د/ أبو المجد عمارة

١- سر الصناعة ٦٤٥/٢ .
٢- الأمالى ٤٠١/١ ، ٤٠٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من مصادر البحث

الأمالى لابن الشجرى تحقيق رجاء أحمد شبل .

حاشية الصبان على الأشمونى مطبعة عيسى الحلبى .

دلائل الاعجاز لأبى بكر عبد القاهر عبد الرحمن الجرجانى .

سر صناعة الإعراب أبو الفتح عثمان ابن جنى .

شرح الأشمونى على الألفية مطبعة عيسى الحلبى .

شرح الكافية للشيخ رضى الدين الاستراباذى .

الكتاب لأبى بشر عمرو بن قنبر الملقب سيبويه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner